CC BY

المفارقة في المجموعة القصصيَّة (مغامرات سندباب)

لأَحمد جار الله ياسين

غسّان عزيز رشيد الطائيّ *

تأريخ التقديم: 2022/7/31 تأريخ القبول: 2022/9/10

المستخلص:

تُعدُّ المفارقة من المثيرات الدلاليَّة للمفارقة أَنَّها ذات وظيفة مهمة في الأَدب عامة، وخصصنا البحث في اشتغالها على القصة القصيرة جدًا للقاص أحمد جار الله ياسين المعنونة (سندباب)، أَنَّها تشعر الانتباه عبر أُسلوبها البلاغي الذي يكون فيه المعنى الحقيقي في تضاد مع المعنى الظاهري للنصوص، وتعرض البحث في فقراته على المفارقة السياسية والاجتماعية والعنوانية، ومن ثم اشتغالها على المفارقة اللفظية كعامل لغوي سياقي وفكري ظاهر في الكثير من نصوص المجموعة.

المفارقة لغة عقل وفطنة وذكاء، لغة حتمية، وربَّما يلجأ إليها الكاتب للكشف عن الحقائق التي لا يمكن كشفها بالأساليب الأخرى ... فهي توفر جوَّاً من الجرأة والصدام، ولها مهمات تنبيهية وكشفية تلفت الأَنظار إلى كثير من المتناقضات، ومحاولة إِيجاد الحلول عبر فاعليتها في النصوص القصصية.

الكلمات المفتاحية: تضاد، تلقي، إِبداع.

توطئة:

المفارقة مصطلح شاع في الفكر العربي والغربي، وتواصل عبر التأريخ المعرفي مع حاجات العصور، فالمفارقة ظاهرة أُسلوبيَّة لها علاقة مشتركة في إنتاج المعنى، وتفعل فعلها في تنمية وتماسك الدلالات النصية الشعرية والنثرية على حد سواء.

* مدرس/كلية التربية للعلوم الصرفة/جامعة الموصل.

ولكل مصطلح أدبي أو معرفي مستوياته البيانية في الأداء، ويؤدي دوره في المستويات القصدية؛ إذ إنَّ النصوص في شكلها العام تحمل مستويين اثنين: أحدهما السطحي والآخر العميق.

وتعمل المفارقة كأسلوب صادم يتكىء على الفعل وردَ الفعل، يغير مجريات المعنى من التناقض إلى الثبات، ومن القبول العادي للفكرة إلى الانبهار والانتباه، إذ أنها تقرِب مسافات التناقض والتضاد لتعطي المعنى الجديد الذي يزيل بعمقه التنافر الإبهام.

والمفارقة استفزاز مباشر لعقل القارىء؛ إذ تجعله يلتقط المعاني وتسعى بكل الوسائل لإدراكها، وإدراك المغزى الذي يجعله تلامس بلاغة مشغلها، وبعث مرجعياتها في ذات القارئ الحاذق، إذ تحقق رؤية جديدة في ذاته، لأنها محاورة باطنة وتغيير مقصود لعوامل المتاهة التي يعيشها المبدع.

ولا بدَ من معرفة جذر المصطلح في لغتنا العربية وتراثها اللغوي الضخم، فقد أورد صاحب اللسان في المفارقة " فارق الشيء مفارقةً وفراقاً: باينه، .. فارق فلان امرأتهُ مفارقةً وفراقاً باينا .[1]

وكذلك جاء في المعجم الوجيز الذي يعد من المعاجم الحديثة؛ إذ جاء فيه أن المفارقة : " فارق مفارقةً وفراقاً: باعدهُ، فرَّق بين القوم أحدث بينهم فرقةً" .[2]

<u>اشتغال المصطلح على القصة القصيرة جداً:</u>

تُعدُّ القصة القصيرة جدًا من فنون النثر العربي ، بل هي شكل من أشكال النصوص الحداثية التي فرضت نفسها على الواقع الكتابي ضمن حاجات ومسوغات مجتمعية وثقافية مختلفة؛ إذ التطور الهائل في وسائل الكتابة والتعبير، وطريقة الفاعلة في جلب المزيد من القرّاء؛ لأنَّ القصة أعلاه تقرِّب المسافات وتكثِّف الجمل وتبعث المعنى بأقصى طاقاته الفنية في المعنى والدلالة.

()1لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم(ت711هـ)، دار صادر للطباعة والنشر– بيروت (مادة فرق، 169, 11). ،ط3، 2004،

()2 المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، بيروت – لبنان، (د. ط)، 1994: 469.

والقصة بوصفها فناً سردياً رافق الإنسان منذ الأزل، إذ اتخذه طريقاً إلى تخليد منجزاته، فضلاً عن التنقية الحاصلة لعناصر الذات من أحزان وأفراح وآلام كونية.

وقد قسّم الدكتور جاسم حسين عناصر القصة القصيرة جدًا إلى أربعة أقسام : القصصية– الجرأة– وحدة الفكر والموضوع– التكثيف" .[1]

أمَّا الدكتور يوسف حطيني فحّدد عناصرها ب " الحكائية– الوحدة– التكثيف– المفارقة– فعلية الجملة" [2]، إذن المفارقة عنصر من عناصر القصة القصيرة جداً، وهو أحد أركانها الفعالة في أنتجها الحركة الذهنية القابلة لتلقي صدمة التضاد والتنافر في المعاني المعكوسة، وتلبي الذوق الحداثي العام الذي يبحث عن ما يبهر ويفعل حركة الوعي باتجاه البحث عن الحقائق، فلربما لا يدرك البعض المعنى دون ضده، بل لا يرتقي إلى فهم القصدية إلّا بعد إنتاج الصدمة المؤثرة، والمفارقة بحقيقتها واشتغالاتها وسيلة من وسائل الجمال والتحسين، وهي تكاد تكون لازمة من لوازم جنس القصة القصيرة جداً، وبرزت القصة القصيرة جداً بتقاناتها المتعددة لتعبر عن واقع الحياة السريعة جداً، والتي تطلب الاختصار في كل شيء، بعيداً عن التكرار والإسهاب والحشو، فهي تختصر السرد وتعوضه بتقانات ذكرناها آنفاً، وهي كمنتج لغوي تتحكم فيه التضادات الثنائية ، وتكمن الجماليات فيها، أنها تجعل المتلقي مكتشف ل " قول شيئًا وتقصد غيره[3]" أو " تمدح لكي تذم، أو تذم لكي تمدح".[4]

المفارقة إذاً كمشغل سردي قصصي تعتمد التكثيف وعكس التوقع للفهم أيضاً؛ إذ تقول فاطمة السنوسي رائدة القصة القصيرة جداً في السودان " المفارقة من أبرز مقومات النص الإبداعي، ولاسيَّما في الرواية والدراما، سواء كانت مفارقة في اللغة بين الدال والمدلول، أقصد مرونة الدلالة بين اللفظ والمعنى، أو مفارقة في الموقف

---

(1) القصة القصيرة جداً، مقاربة تحليلية، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشز، 2007: 102.

(2) نظرية القصة القصيرة جداً، الأنترنيت، arabik microfictior association.com.2013

(3) موسوعة المصطلح النقدي، د سي ميويك، ت: عبدالواحد لؤلؤة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، ج3، 1993: 29.

(4) م . ن: 29.

بين التصور أو المعرفة والفهم لعكس الحقيقة، أو مفارقة في الحركة بين الحركة الطبيعية للإنسان، والحركة غير الطبيعية، سواء كانت آلية أو حيوانية أو معوقة" .[1]

وتنقسم المفارقة إلى أقسام عدة: " مفارقة الأحداث، ومفارقة السخرية، ومفارقة الأدوار، ومفارقة الاستخفاف بالذات، ومفارقة الكشف عن الذات، والمفارقة اللاشخصية، ومفارقة التنافر.[2]"

تمثلات المفارقة في المجموعة القصصية (مغامرات سندباب):

لم تكن المجموعة القصصية الساخرة للأستاذ الدكتور أحمد جار الله ياسين هي الأولى، بل له مجموعة قصصية أخرى الرامزة إلى الحب والحرب، كحيز تؤدي فيه الأحداث اليومية لعبتها الساخرة، إذ إن المؤلف يتنقل بين الفكرة والفكرة حسب ما ترد إليه من خلال مشاهداته اليومية وعيشه في حيز مدينة الموصل التي ولِد فيها وعاش فيها محبًّا لها عاشقاً لأقاصيص الجدات وحكايا الحارات والعوجات، وناسها البسطاء إلى حدٍّ بعيد.

ونظرة فاحصة أولى إلى مجموعة (مغامرات سندباب) يحيلنا العنوان إلى ما في المتن من المتناقضات، متناقضات حياتية ومتناقضات اجتماعية وسياسية ونفسية، تجتمع في فكر المؤلف، باحثاً عبرها عن حلول ربَّما تنتهي إلى طريق مسدودة في أغلب الأحيان.

كل شيء في مجتمعات الحرب متناقض، في بلدان تعبث فيها الأسباب والنتائج، فالسبب هو النتيجة والنتيجة هو السبب، فوضى عارمة تمتد إلى تناقض الذات الإنسانية بذاتها، فهي تريد ولا تريد، تقبل وترفض في ذات الوقت، فتتكون طاقات كامنة في ذات الفنان والكاتب محاولاً فكّ شيفرات التناقض والانقسام على الذات والبحث عن الحقيقة، والإجابة عن الأسئلة، وهي توليفات درامية داخل القصة القصيرة جداً بتكثيفاتها الزمكانية عند أحمد جارالله ساخرة في التلميح والتهكم

1() استخدام المفارقة في القصة القصيرة جداً، الأنترنيت، maslakwata. Com .

2() موسوعة المصطلح النقدي، د سي ميويك، ج4: 78-99.

والدعابة، والغمز والهمز واللمز، تُوظّف كلها من أجل إيقاظ الوعي بالأخطاء، والوعي بالحلول، بمعنى أنها تجيب عن الأسئلة التي ليس لها اجابات. وتكاد تدور القصص حول أجواء الحرب وما بعد الحرب، وآثارها النفسية والاجتماعية والاقتصادية على شعب العراق وأهل الموصل.

المفارقة الدرامية:

ربّما يرتبط مصطلح الدراما أكثر ما يرتبط بالمسرح العالمي، وهذا لايعني أنه لا يتمثل كحالة منطقية في القصة القصيرة جداً، فربّما يعمل هذا المصطلح، وهو يشتغل فعلياً في مسيرة أحداث القصة القصيرة جداً التي هي حتماً تتضمن صراعات، ورموز شخصية تقوم بمهمة الفعل الإنساني في الخير والشر، في الفاعل والضحية.

وتعد المفارقة الدرامية من المفارقات التي اشتملت عليها نظريات النقد الحديث، وهي نابعة من البنية العميقة للنص الأدبي بعامة والقصصي بصورة خاصة،

إذن هناك تصارع في المعاني المركزة في ذاتها على المعنى الواحد، إذ المعنى الجديد يعوّض المعنى القديم في السياق والعمق؛ إذ يقول في قصة (نباح وردي) :[1] ((لا تحبه.. لكنها تحب كلبه الصغير الذي يرافقها في كل لقاء ويجلس تحت المنضدة... يداعب اصبعها الابهام.. قبل أن يفترقا.. متخاصمين كالعادة .. هو إلى كلبه الذي يجده وفيّاً أكثر منها... وهي إلى أصبعها الإبهام الذي تورد خجلاً بفضل ذكرياته مع كلبه الوفي أيضاً)).

هناك معنيان متضادان يتصارعان من أجل إنتاج وتركيز المعنى الثاني (الأصبع الإبهام) مع (الحبيب وكلبه الوفي) الذي يدور حول الوفاء، على الرغم اللقاء الحميم المستمر بين الحبيبين ، فبنية الحدث السردي الذي تشكّل عبر نص أحمد جارالله بشخصياته المستهدفة كانت بناءً درامياً متصلاً بمأساتها أو كوميديتها، في إيقاع زمني في المفارقة التي هي حتماً متصلة بصراع أحاسيس حبيب وحبيبة، هذا الموضوع الذي له حركة حوارية درامية لها علاقة بالحركة الداخلية للأحداث المتمثلة في الحدث الكلي الدرامي الواضح في هذه اللوحة القصصية , يقول : في

()1 مغامرات سندباب، دار النون للطباعة والنشر– الموصل، ط1، 2019: 23.

نص (غرق) يرسم بحراً و ساحلاً و سفناً و يركض و حيداً على الورقة حتى يسقط عند حافتها نحو سلة المهملات غارقاً فيها .. لأنه لم يرسم بجانب السفن أي طوق نجاة . [1]

وتبقى الشخصيات في اختيار الكاتب في البنية أو في الفعل الدرامي أو زمكانيته، إذ هي صراع إرادات إنسانية تحاول فيه كل إرادة كسر الإرادات الأخرى وفرض مزاجيتها.

مفارقة العنوان (سند... باب):

يتضمن العنوان في تشكلاته المتعددة الإعلان الأول على ما في المتن من سياقات الفعل الحكائي للنصوص، وربما يكون العنوان هو الباعث الأول على إنتاج شعوراً بالصدمة الأولى، ومهما يكن من أمر فإن المفارقة تعبيراً لغوياً، والعنوان هو مفتاحاً جوهرياً من مفاتيح نصوصه، " ولقد أصبح العنوان محل عناية من قبل الكاتب، فهو عنصر معقد، وهذا التعقيد ليس لطوله أو قصره، ولكن مرّده إلى مدى قدرتنا على تحليله وتأويلهِ.[(2)]"

إذًا فإن العنوان كبنية إشارية دالّة على كثير من خفايا النصوص، له القدرة على إنتاج استراتيجية ضاغطة داخل النص المقروء.

والمفارقة الأولى التي نطالعها في قصص أحمد جار الله هي مفارقة العنوان بقطع الكلمة التقليدية (سندباد) وإهمال نصفها الثاني وآخر حرف فيه (الدال إلى الباء) لتصبح (سندباب)، بطريقة تستدعي التضاد والغرابة.. مع الاحتفاظ بالتركيب الصوتي لكلمة (سند... باب)، وتغيير شامل للمعنى الأصلي لغوياً واصطلاحياً، بحيث أنتج ذلك مفارقة كبرى تدل على أن المتن سيكون على هذه الطبيعة من اللاواقعية، بل السخرية من الأبنية اللغوية الثابتة كلها، واحالتها إلى هذا العنوان المبهم المفارق

1 المجموعة القصصية : 31

2() ينظر: السيموطيقيا والعنونة، جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر الكويتية، المجلد2، العدد3، 1997: 96-97.

بوعي لكل حقيقة ثابتة، فكل شيء في السخرية وارد ومقبول طالما هناك منظومة قيمية منهارة وصلت بالعالم الإنساني والاجتماعي إلى الحضيض.

أمَّا كلمة (مغامرات) فتقلب المعنى المراد إلى عكس الحقيقة ليتساءل القارىء مرات عدة، وليعيد النظر مرةً أخرى من أجل استقرار العنوان في المخيلة، ولكن بلا جدوى، لا علاقة بين سندباد وسندباب، غير علاقة تضاد عبثية تنم عن هم اجتماعي يحمله الكاتب أمام تمظهرات الانهيار القيمي العام.

والحال كذلك داخل نصوص المجموعة، إذ إن القاص يوظف عنوانات أخرى لتغيير المعنى اللفظي للكلمة وتثبيت التركيبة الصوتية للعنوان ذاته، وهذا هو التوظيف لمعطيات متناقضة في نسق واحد، إذ ليس هناك من علاقة بين (مغامرات...سندباب)، ولا علاقة لغوية بين (سند... وباب)، فالعنوان المفارق يؤكد عبثية الحياة وأسرار يحملها الكاتب في طيات نفسه.

ومن العنوانات الواردة على قصص المجموعة فمثلاً: (باسطرمون- البلبل المختار- نباح وردي- الشعب يريد نمراً....)، هذه العنوانات كلها دوال تنبه بتناقضاتها وانزياحاتها التركيبية داخل العنوان إلاّ أن القصة القادمة قادرة على اقتناعك ولكن بطريقة مفارقة كلية بين الموضوع ومعناه، بين الحدث ونقيضه داخل منظومة السرد الداخلي المتقن المخصص لحدث معين حسب.

أَمَّا العنوان(باسطرمون) فهو تغيير تركيبي لكلمة وعنوان (أفلاطون)، وهذه اللفظة الدالة على أكلة عراقية مركبة بين اللحم والتوابل والثوم وتوابل أخرى، تنزاح إلى معنى آخر، يشير إلى إرباك المنظومة الفلسفية بين الحقيقة والواقع، هذه الآراء المكدسة داخل وعاء أفلاطوني يبحث عن الجمال والمدن الفاضلة تقلص في العالم الحديث، بحيث أصبح الجمال كذبة والمدن الفاضلة مجرد ركام وحطام بلا معنى، يقول القاص فيها:

" مرّ أفلاطون بدكان قصاب في سوق(باب الطوب).. وحاول أن يقايض بنظرية المحاكاة بكيلوين من(الباسطرمة).. ولكن القصاب ابتسم ورفض الفكرة ومع ذلك

أشفق على أفلاطون ومنحه نصف كيلو منها مجاناً.. لكن أفلاطون ظلَّ حزيناً؛ لأَنَّه أيقن أن جمهوريته قد زالت وأن البقاء للأفكار الأكثر بهارات ...".[1]

إذًا استطاعت القصة هذه أن تبلور العنوان داخل النص و يتركز كذلك العنوان في نص (فستان بوك) التي يقول فيها:((بعد ثلاث ساعات في صالون التجميل خرجت امامه منتصبة بتسريحتها المدهشة ومكياجها الساحر وفستانها الملكي.. وسالته بلهفة :حبيبي مارأيك الآن؟ فأجابها باقتضاب :منورة. حينذاك أَيقنت أَنَّ من الصعب أَن تقترن بتافه مثله لم يستطيع الخروج من خانة التعليق المستطيلة الضيقة في صفحة الفيس بوك التي جمعتها صدفة قبل عام، فحظرته فورا من حياتها ونالت ٤٩٩٩ اعجابا..)[2] (إنها اهتمت بتقديم الحدث بفكرته المقدمة في معالجة مركزة لحال الثقافة وعالمنا الحديث، وقد أدت هذه القصة شخصيات في فضاء زمكاني محدد أو مطلق، ودون عناية بالجزئيات، أو حتى بالمسببات، أو الأبعاد الوصفية، بل اهتم القاص بتقديم الحدث لحظة ذروته(الباسطرمة) وبإِشارات تلميحية حاذقة إلى الذروة التي لها علاقة مهمة مع العنوان الذي تضمن العقدة التي هي (البهارات) التي قدمت الحل النهائي المقنع الصادم، وقد حذف الكاتب الاستطالات والزوائد التي لا تخدم فكرته.

<u>المفارقة الاجتماعية:</u>

كما قلنا سابقاً أن أحمد جار الله هو ابن مدينة حريقة، اكتسبت حضارتها من هذا الكم الهائل من الموروث الاجتماعي الكبير لمدينة عمرها ستة آلاف عام تقريباً، فمرّ بها أقوام وعاشت بها قبائل وعوائل كثّفت العالم بأطيافه فيها، مدينة بانورامية عاشت حقب مختلفة، وكل حقبةٍ خلّفت الكثير من الحكايا والأمثال والحوادث.[3]

1() المجموعة القصصية: 97.

2 المجموعة القصصية : 41 / 42

3() ينظر: عتبات النص في المجموعة القصصية "مغامرات سندباب" القصيرة جدا للقاص أحمد جار الله ياسين، بحث منشور: 220 .

فهي مدينة اجتماعية بامتياز، مدينة عاش فيها الأنبياء والأولياء والأوصياء، وعاش فيها المجنون والشحاذ والمارق، وكل ذلك أمر طبيعي لمدينة عريقة تقرأ على جدرانها الكثير وتبحر في أدبها وثقافاتها العقول والأفنان.

وفي قصص أحمد جار الله القصيرة والقصيرة جداً يمكننا قراءة نظامها السردي الخاص من الداخل هذا النوع من القصص هي، حيث تكتنز كل مفردة حمولات رمزية تحيل على دلالات مضمرة على وفق خطط بلاغية معينة يختارها النص.[1]

ويصور القاص في نقده الاجتماعي بعض فئات المجتمع، فهو إما ينتصر لهم أو ينتقد أو يعرِّف؛ إذ يقول في قصة (بين عش.. وقفص) ((عش الزوجية الرقيق الأنيق الذي سقط من شجرة الحب بعد أول شجار بينهما، لم يحاولا إصلاحهُ، بل داسا عليه بخصام متواصل انتهى بسحق العش تماماً، ولجوئهما إلى قفص الزوجية الذي لم يصمد بابه طويلاً فانتهى محطماً بمطرقة الطلاق))[2]، فالمفارقة هنا كتقانة سردية تنظم الحدث بنائياً، بحيث يتطور مساره الذي بالتأكيد يخالف النهايات المقصودة نكتشفها أخيراً، تعتمد التناقض الذي يهيمن على حياتنا على العموم، فتنكشف لنا الحقيقة دائماً مخالفة لتوقعاتنا أو لما ينبغي أن تكون عليه، وكأننا في لعبة محبطة، تأخذنا إلى معنى معين ثم تغلب الطاولة في النهاية بالخيبة والفشل وهو عكس المتوقع تماماً، فكأن هذا الحب الدافئ الذي عاشه الزوجين في العش الأنيق يتداعى أخيراً إلى حطام في القفلة(الطلاق)، فكانت المعادلة : (عش أنيق+ شجرة الحب+ شُجار+ خصام+ سحق العش+ اللجوء إلى القفص+ تحطيم+ طلاق)، فتتجلى المفارقة الاجتماعية في خلق التقابل بين النماذج الإنسانية المجتمعية تعكس بوضوح الواقع وتعبِّر عنه كصورة من صور مجتمعاتنا، فهذا النص القائم على حدث واحد يتطور بسذاجة متينة، تبني الفهم ظاهراً ومباشراً، ولكنه فهم يتحطم في نهايته كأدوات، حين ينكشف المصير– مصير الحب– لهذا الحدث المتنامي سردياً يضعنا

---

(1) ينظر: المفارقة السردية وتعدد المسالك التأويلية في القصة القصيرة جداً، شيماء ابجاو، الأنترنيتwww.thaqafat.com

(2) المجموعة القصصية: 25.

وراء زحام يؤدي إلى صدمة في التجربة، وهنا تكمن المفارقة الشاملة في معنى الوصف وتمثيل الواقع، بل وضع المجتمع في موضع إدانة واتهام ونقد.

فالمفارقة الاجتماعية كتقانة سردية تخلق التوازن بين المتناقضات الحياتية للمجتمع، وفي قصص أحمد جار الله(سندباب)، تخلق التماثل بين أعطاب مجتمعية متنافرة، يجعلها في مواجهة الأضداد(الحب والكره، الخيانة والوفاء، الفقر والغنى، الشباب والشيخوخة)، هذه المتقابلات الدالة على تباين حركة الإنسان في الداخل الاجتماعي وصورة من صور القص وأداة من أدواته.

يقول القاص في قصة(عصر):((الصيد هوايتهما المشتركة، على صفحة الفيس بوك، هي تحب صيد الأرانب، وهو يعشق صيد الفراشات البريئة، ومع ذلك لم يستطع أحدهما اصطياد الآخر، فحجبها من ربيع صفحته، وحجبتهُ من غابتها واكتفت بشراء الجزر وعصره)).! [1]

التفاتة اجتماعية أخرى يخترقها السرد القصصي بذكاء عندما يوظف مواقع التواصل الاجتماعي التي هي الأخرى كانت سببًا في إرباك المجتمع بل تداعت فيه قيم كثيرة بسبب الاستخدام السيء للعلاقات داخل هذا الحيز الوهمي، فكانت هذه العلاقة المستهدفة من الكاتب، فقد خلقت حدثاً تغذيه عقدة التلازم بين(صيد الأرانب- صيد الفراشات- الربيع- الغابة، الصيد على العموم- عصر الجزر).

في هذه المتناقضات الصورية تنفجر الدلالة، وتجعلها تخيب ظنوننا مرة أخرى، تخيب رغبتنا، بل تبني في القارئ مشاعر القرف من هذه العلاقات على الرغم من التشويق الذي أدرجه القاص.

وعادةً ما تنتهي العلاقات العبثية في هذا الحيز(الفيس بوك) بهذه النهايات الباهتة التي يغلفها الوهم، ليتحقق أخيراً روح المفارقة بين(الحب- عصر الجزر)، وهذه بلاغة المفارقة من حيث هل القاص يسخر من هذه العلاقات أم يشفق عليها؟، وذلك يرجع إلى تأويلاتنا واستنتاجات القارئ الظاهرية، إنه ربط تراجيدي بين

1() المجموعة القصصية: 26.

المتناقضات، " فهو يستثمر المفارقة بوصفها نقطة بين العقلاني واللاعقلاني والواقعي واللاواقعي، والتراجيدي والكوميدي.[1] "

وأخيراً فإنَّ السرد هنا يؤدي الوظيفة الترفيهية في المفارقة ذاتها، نكات ومواقف ومفارقات تنتزع الضحكة والبسمة منّا حتى في لحظات الكآبة.

المفارقة السياسية :

إنَّ أفضل من فهم علاقة الأدب السياسي في مفهومه الغربي والممارسة العربية له هو(الان روجرز)، إذ تحدث " عن شمول الأدب السياسي في الثقافة العربية، مفسِّراً ذلك بغلبة أشكال النفي، والحصار، والمطاردة، بل وتقطيع الأرزاق التي تمارس على الكاتب العربي، حتى كان كاتباً مثل (حنا مينا) يضطر للعمل مرةً حلاقاً وأخرى حمّالاً ليكتسب قوت يومه" .[2]

وهذا الكلام مفارقة في عينه؛ إذ المثقف العربي يعيش حالة من الإهمال والتهميش وربما الحرب، لأنَّ المثقف الحقيقي مدرك تماماً لما يحدث من حوله إن كان في السياسة أو الإدارة العامة لوطنه، فهو متقاطع دوماً مع السياسة وسلطتها، ويحاول أن يكون لساناً لأبناء وطنه، مدافعاً عن حريتهم وكرامتهم، وهذا ما يحدث فعلاً في بلدنا العراق، فكل ما يعيشه المثقف هو الألم وعدم التطابق مع الحياة بل الاغتراب عنها، لا سيما أن المثقف العربي معتد بذاته لا يرضخ للأمانة ولا يقبل بتهميش هويته أو انتمائه، فكانت خاصية السخرية والاستهجان والشعور بالوقوف على حافة الهاوية ظاهرة من الشعر والرواية والقصة، بل أمسى يغرد في سربه بحذر، فيضيق العبارة ويطلق الإشارة ببلاغة عالية، موظِّفاً طاقات لغوية كبيرة تحملها لغتنا العربية السامقة، فكان الاختصار وانتاج الإشارة من خلال القصة القصيرة جداً

1() إضاءات نقدية في القصة القصيرة جداً، سليم عباس، دار البشائر للطباعة والنشر- دمشق، ط1، 2004: 67.

2().الرواية العربية، الان روجرز، ترجمة: حصة إبراهيم المنيف، المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة، ط1، 1998 :32.

والومضة والهايكو، كل ذلك فضحاً للسياسة والسلطة، ولكن بأقل وأدق العبارات والإشارات.

فكان القاص من ضمن كوكبة عراقية توّاقة إلى تحرر الإنسان من الجهل والضعف والخوف، يسرد المعاناة بألم ممزوج بعواطف السخرية من الذات ومن الآخر، من أجل تحريك المشاعر الراكدة في ذات المجتمع، أضواء حمر يوجهها ضمن لقطات حاذقة تبدأ معقدة وتنتهي صادمة مؤثرة ضمن قفلة تحدث الصدمة وتعطي الحلول.... لمن يدرك.... حتماً.

يقول في قصة (تحديد) ((معلم التأريخ.. يحلم يومياً بقيادة الآلاف من الجنود في الطريق لتحرير الأرض.. لكنه في الصباح يجد نفسه يومياً معتقلاً خلف منضدة يتراجع عن الاتكاء عليها كلّما تقدمت مكنسة عامل التنظيف لتحريرها من الغبا)) [1] .

العقل العربي الحداثي عقل توّاق للحرية، لأن الأرض العربية أمست مسرحاً للعدوان والاحتلالات والتدمير، مستهدفة في كل الجهات، بل هناك تكالب خطير على مقدراتها وإرثها الحضاري وأمنها القومي... وكانت مشاعر التحرير انفجرت بعد احتلال فلسطين من قبل اليهود بعد الحرب العالمية الثانية، فامتلأت نفوس العرب بكم هائل من إحساس الضعف والإهانة، وكذلك هذا الشعب الذي تعرّض إلى أعتى هجمة همجية ومن كل الاتجاهات، تحتّم على مثقفيه البحث عن الهوية الضائعة بردة فعل مضادة للكبت والشعور بالقمع والاستلاب، ولكن لضعف الأنظمة العربية وساستها الذين يجلسون على كراسي حكمها، لا يحركون ساكناً وليس لديهم موقفاً وطنياً تجاه شعوبهم، فكان الكرسي في القصة هو محور الاستهجان السياسي من الساسة الذين يعيشون أحلاماً ويطلقون الشعارات دون فعل يذكر، معتقلين داخل كراسيهم التي لا تحرير فيها إلّا للغبار العالق بها، كناية عن تفاهة وسكون المواقف والقرارات ، وتبدو القصة بسخريتها اللاذعة تعبيراً عن حالة اليأس من الحاضر والقادم، وكأنها لوحة كاريكاتيرية ذات إضاءة كاشفة للعيوب والسلبيات والهزائم، " يعتمد صانع المفارقة عموماً على قدرته على تطويعها وتشكيلها من أجل إيصال الرسالة المرجوة

1() المجموعة القصصية: 26.

منها، وقد تكون المفارقة سلاحاً للهجوم الساخر، وقد تكون أشبه بستار رقيق يشف عما وراءه من هزيمة الإنسان" .[1]

إن مشاعر الحرب والسلم وما بينهما من ضحايا وخسائر ودمار كانا على طول خط المجموعة (سندباب)، بل تشكل الكثير من أفكارها ومعاناتها، وآخر حرب عبثية مفتعلة عاشتها الموصل كانت من أقذر حروب التأريخ خاضها الناس العزَّل، فكان الفقد والفجائع صورة مؤلمة لا يستطيع الأديب ولا الشاعر الإمساك بتلابيب أنواعها وأشكالها، فكانت قصة (آخر البيوت)، واحدة من شواهد المرحلة وصورة من صورها الموحشة بأسئلتها التي لا جواب لها سوى الضحك الهستيري العميق.

السخرية في المفارقة:

تشتغل المفارقة اشتغالات عدّة، فهي تعمل في حيِّز الإنسان وطبيعته المتناقضة، هذا الإنسان الحديث الغارق بالقناعات المتناقضة، ولهذا تكون السخرية نوع خاص من النقد الشخصي أو نقد موجّه لشخص أو لمجموعة أشخاص يمثلون حركة مجتمعهم الخاص.

المفارقة اللفظية الساخرة :

بما أنَّ المفارقة مادتُها اللغة، واللغة عالم كبير بفنونها البلاغية والبديعية، فإنَّ المفارقة اللفظية بطبيعتها تعتمد تبادل الألفاظ الاستعارية بين الجمل الأولى، بحيث أنَّ المعنى الحرفي هو عكس المقصود تماماً، وكل هذه المقاصد هي في حقيقتها موجَّهة ضد الفرد المقصود في مجمل الفكرة، وكل يعتمد على ذكاء الكاتب الساخر، الذي يتعامل مع اللغة الساخرة على أيَّة حال، " إنَّ التلميح والصدى هما المكونان الرئيسان اللذان يشاركان في نقل المعنى الساخر لفظياً، ومن الأفضل وصف الحالة بأنها فعل الكلام الذي يتمثل به المتحدث في وقت واحد، معتقداً أو فكرةً، ثم ترفع هذه الفكرة إلى تنبيه مقصود للمخدوعين بالفكرة الأصل"[2]. فلننظر كيف يوظف علامة اجتماعية

1() المفارقة في الشعر العربي الحديث، ناصر شبانة ، أمل دنقل، سعدي يوسف، محمود درويش نموذجاً، المؤسسة العربية للدراسات والنشر– بيروت، ط1، 2002: 97.

2() المفارقة: الأنترنيتwww0strig fixe0com

ساخرة تجتاح عالم الثقافة اليوم, من خلال ما يُقدم من شهادات تقديرية لمن يستحق و لا يستحق التي سببت ارباكاً في المشهد الثقافي في المنتديات العراقية، بمعنى انه يرفضها تماماً و بسخرية لاذعة تنم عن حرص و طلب المعالجة لهذه الظاهرة الغير مجدية في التقويمات الثقافية , فيقول في نص (ش عادة) : ((كلما نال بفرح شهادة تقديرية جديدة تذكر فجأة (الكيس الورقي المخروطي لحب الشمس) واعترته كآبة مبهمة)) .[1]

فالكتابة القصصية – كما تتضح معنا- لها دور مهم في إيصال المعنى لفظياً وفنياً، محملة بعقل السخرية المرجوة، وهي بمثابة ضحكة كبيرة موجهة إلى وجه العالم، وهذه الضحكات لا تعني الفرح بتاتاً، بل تحمل معنى السخرية من تناقضات وجودنا هذا، فهي أداة لمواجهة هذا العالم القبيح.

يقول القاص: ((أخ..تناق ((يتثاءب باستمرار .. لأن في أعماقه شيئاً آخر يشاركه في اقتسام ذرات الهواء.. مرةً أغلق فمهُ .. وامتنع عن التنفس لدقائق . وعندما فتح فمهُ سقطت من بين شفتيه وردة يابسة زرقاء لكلمة اسمها الحريَّة)) [2] :

إن هذه التركيبة الساخرة التي اعتمدت التلميح إلى أن العالم الذي يسيطر عليه قوى الشعر، لا يمكنه أن يمنحنا الحرية، هذه الحرية التي نجدها في أعماقنا حسب، ولا وجود لها في هذا العالم الأزرق، ولون الوردة الزرقاء من نوادر هذا العالم، فكانت لفظة (زرقاء) ولفظة (الحرية) كلاهما على خط من الوهم والعبثية والندرة، فلا حرية في هذا العالم، ولا نستطيع التنفس بحرية، ونحن ضحية عالم سائب بلا مبادئ إنه يوجه الإهانة إلى مغتصبي حريتنا، والكل متحكم فيها.

<u>الاستنتاجات</u> :

1- تثير المفارقة كمشغل فني في الدراسات النقدية الحديثة، في المتلقي الذي يبحث عن الحقيقة بأبسط الأساليب مشاعر الصدمة، ويرفع لديه مستوى التوقع، لأنَّ المفارقة كفن قادرة على مخاطبة الداخل قبل الخارج الإنساني، والمفارقة هي بيان

1 المجموعة القصصية 42

2() المجموعة القصصية: 25.

لغوي يبتغي التعليل الذي يبدوا ظاهرياً مبني على حجج ومقدمات منطقية، إلّا أن الحقيقة إنه يناقض نفسه، أو يؤدي إلى خلق عبارة غير منطقية، أو أمر محيَّر في دائرة أشبه بالمغلقة، ومن الممكن أن تكون المفارقة عبارة صحيحة أو مجموعة عبارات تتضمن معنى التناقض والنفي.

2- اعتمد أحمد جار الله على الموازنة بين نقيضين لهما وظيفة إصلاحية في الغالب، إذ إنَّه في بعض قصصه استخدم أُسلوب التهكم والسخرية اللاذعة الموجهة في لغة حادّة تسير بخط مستقيم، خاصةً في المفارقات السياسية والاجتماعية، محاولاً إعادة التوازن من خلال بواعث الجدية في التلميح والغفلة.

3- قدرة القاص على إيراد صورتين أو أكثر متناقضة جميعها، وتحتاج إلى إيهام القارىء وشحن ذاته من خلال الصدمة الموجهة الحاصلة من التناقض والتوتر في استعارات الجمل، إذ المعنى المقصود فيها مخالفاً تماماً للمعنى الظاهر، وعليه يكون القاص أحمد جار الله من أفضل من يبحث عن طريقة مشوقة للعرض، من خلال تقانات مهمة كالسخرية والتهكم وحتى تصل إلى التجرؤ اللاذع ... وكل ذلك كان بحثاً عن هوية ضائعة وألم على نفوس بشرية لا تستحق ما يحدث لها من ويلات.

References

1. Lisan Al-Arab, Ibn Manzoor, Jamal Al-Din Muhammad Bin Makram (d. 711 AH), Dar Sader for Printing and Publishing - Beirut (Article Difference, 169, 11). 3rd edition, 2004.

2. The Intermediate Lexicon, Arabic Language Academy, Beirut - Lebanon, (Dr. I), 1994: 469.

3. The very short story, an analytical approach, Dar Al-Takween for authorship, translation and anthology, 2007: 102.

4. Encyclopedia of Critical Term, D. C. Miwick, T: Abdel Wahed Louloua, Arab Institute for Studies and Publishing - Beirut, Part 3, 1993: 29.

5. Encyclopedia of Critical Term, D. C. Muwick, Part 4: 78-99.

6. The Adventures of Sindbab, Dar Al-Nun for Printing and Publishing - Mosul, 1st edition, 2019: 23.

7. Semiotics and Addressing, Jamil Hamdawi, Kuwaiti World of Thought Magazine, Volume 2, No. 3, 1997: 96-97.

8. Critical Illuminations in the Very Short Story, Salim Abbas, Dar Al-Bashaer for Printing and Publishing - Damascus, 1st edition, 2004: 67.

9. The Arabic novel, Alan Rogers, translated by: Hessa Ibrahim Al-Munif, Supreme Council for Culture - Cairo, 1st Edition, 1998: 32.

10. Paradox in Modern Arabic Poetry, Nasser Shabana, Amal Dunqul, Saadi Youssef, Mahmoud Darwish as an example, The Arab Institute for Studies and Publishing - Beirut, 1st edition, 2002: 97

The irony of the very short story (Sindbab) by Ahmed Jarallah Yassin

Ghassan Aziz Rashid Al-Taei *

Abstract

The human psyche is complex object Bawilogia, represented by sensory and cognitive and physical elements, make the human condition and is always associated with discomfort and constant anxiety and boredom, and a sense of internal instability, especially if the outside world is a world disturbed stable.

The human contemporary filled these feelings and disappointments, which is part of this world, inevitably, the most severe types of disorders live, repression and alienation, and it was poetry and poets who are the people most affected by these situations significant role in discussing the feasibility of life through innovative engines was a result of anxiety and lack of sense security. It was to study concern the humanitarian crisis experienced by the poets of Iraq in our research, which included models of the most prominent poets of the stage troubled Iraq's history in the twentieth specifically century, these poets who chanted human liberty and liberation of peoples from oppression and tyranny authorities perched on the release of their people.

Key words: contrast, reception, creativity**.**

* **Lect/ College of Education for Pure Sciences / University of Mosul.**